

## حياء امرأة

### الشيخ الدكتور محمد ياسر القضماني

أخرج أحمد والبرّار -ورجاله رجال الصحيح- عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: جاءت فاطمة بنت عتبة بن ربيعة -رضي الله عنها- تباع رسول الله ﷺ؛ فأخذ عليها: (ألا يشركن، ولا يزينن) الآية. قالت: فوضعت يدها على رأسها حياءً، فأعجب رسول الله ﷺ ما رأى منها؛ فقالت عائشة رضي الله عنها: أقرّي أيتها المرأة! فوالله ما بايعنا إلا على هذا. قالت: فنعم إذاً، فبايعها بالآية.

\*\*\*\*\*

### ما يأسرُ الناسُ من النساءِ إلا الحياءُ!

إي والله هو الحلية لمن لا حلية لهنّ، والشَّوْهَاءُ بحقّ من قلّ فيها ماؤه، أو انكشف عنها رُؤاؤه! ألم تُمتحنِ مرّةً بامرأةٍ خلعت دثاره، وخرّقت شِعاره فصارت أثقل شيء عليك، وأسمج مخلوق لديك! فاطمة هذه العبشميّة خالة معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنهم- كانت فيمن وفد مع أختها هند مهاجرات مبيعات، فكان ﷺ يمتحنهنّ بهذه الآية، {يا أيّها النبيّ إذا جاءك المؤمناتُ يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزينن ولا يقتلن أولادهنّ ولا يأتين ببهتانٍ يفترينه بين أيديهنّ وأرجلهنّ ولا يعصينك في معروف فبايعهنّ واستغفر لهنّ الله إنّ الله غفورٌ رحيم} (12 الممتحنة).

ما إن سمعت فاطمة (ولا يزينن) حتى وضعت يدها على رأسها حياءً!

وكأنيّ بها تداري وجهها وتلمّ نفسها مستعظمة، متعجّبة، حيّية، خفّرة، تكاد تذوب لفرط خجلها عند هذا الشرط!

وكأنيّ بها تهتفُ في أثناء ذلك مخاطبة بنات جنسها في سرّها : ويحكّ كيف تتجرّأ حرّة على هذا!؟

أتعقل إحداكنّ ما معنى هذه الفعلة، وشؤم هذه السقطة!؟

أُتبلين جدّة نفسك؟ أتكدّرين رونق وجهك وأنس روحك!؟

أُتدَنِّسِينَ ثوبَ طَهْرِكَ؟ أتعكِّرين صفاءَ عيشتك!؟

ألا تدري إحدَاكُنَّ أُنَّهَا بِذَلِكَ أَرْكَسَتْ كَرَامَتَهَا، وَلَوَّثَتْ شَرَفَ عَنصرِهَا، وَمَعَدِنَ عَزَّهَا!؟

ويحكُنَّ أَيْنَ يذْهَبُ بِعَقولِكُنَّ، وَكَيْفَ تتهوَّكُنَّ فِي هَذِهِ المَهْوَاةِ، وَتتسَقَّلُنَ إِلَى هَذِهِ الدَّرَكَةِ، وَفِيكُنَّ مِنْ

أسباب الانزجار حاجزٌ عن ذلك!

صورةُ فاطمة وهي تضع يدها على رأسها حياءً وإعجاباً رسول الله ﷺ بصنيعها صورةً ماثلة في كلِّ

امرأة مسلمة حيَّة، تحثُّها لتتأى دائماً عن أسباب الرِّيب وتتنزَّه عن مسالك التُّهم وتستتكف عم الخنا

والعُهر بل ممَّا يقرب منهما من قريب أو بعيد!

ألا تعجبون من هذه المرأة النَّاشئة في بيئة جاهليَّة كيف تستهجن هذا السُّوء، وتتقبَّض من ذِكْرِهِ وعاقبة

أمره!؟

و(هند) أختها داخلتها الغرابة حين شُرط (ولا يزينين)! فقالت: وهل تزني امرأة حرة!؟

قال عليه الصَّلَاة والسَّلَام: لا والله ما تزني الحرة!!

إن هذا الجيل كان مؤهلاً برجاله ونسائه بما أوتي من بقايا الحلال الرّضيَّة والصفات السّنيَّة؛ أن يحمل

أعباء رسالة جديدة؛ فلا غرو (الله أعلم حيث يجعل رسالته)!

الحياء خيرٌ كلّه، وهو لا يأتي إلا بخير، وهنا من آثار هذا الخلق أنّ فاطمة رضيت وسارعت للمبايعة

بعد أن سمعت أمّها السيِّدة عائشة -رضي الله عنها- تقول لها: أَقْرَبِي أَيْتَهَا المرأة فوالله ما بايَعْنَا إلا على

هذا.

قالت: فنعنم إذاً، فبايعها بالآية.

وإنّه -والله- لا ينقض عجي من امرأة جاهلية تخجل من دِكْر كلمة تُدكّر بالفحش، إذا رأينا وعايِنَا

حال الجاهليَّة المعاصرة التي أقامت النوادي للعرافة، والتي تعقد مسابقات الجمال، وتتاجر بالأجساد

والأعراض!!

